

# الحضارة الإسلامية

## بين الماضي... والمستقبل (١)

الأستاذ أحمد عبد الرحيم سايح " القاقره "

إذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المعنى التاريخي واعتبر الحضارة غاية العمران فان مفهوم الحضارة في العصر الحاضر قد امتد الى الوان من المعنى ، هي ابعد واوسع مما رآه ابن خلدون في عصره ، وفي بيئته العربية في انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدني من البادية الى الحضرة .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ « مدني » بمعنى « اجتماعي » فان مفهومها آخر ظهر واتصل بها ، اصبح الآن يعرف باسم المدنية .

وابن خلدون نفسه كان سابقا ايضا في هذا المجال اللفظي فاستعمل كلمة « التمدن » وكان يعني بها « التحضر » .

على ان تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت في بيئة عربية كانت حياة الحضرة فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا في جهات قليلة جدا خارج العالم العربي .

ولذلك فان لفظ الحضارة في مفهومه العالي ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد اصبح اكثر اتساعا مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوي والتقليدي واذا كان اصل معنى الحضارة « بفتح الحاء وكسرهما » الإقامة في الحضرة . فان المعاجم اللغوية الحديثة تعرف الحضارة في استعمالها المولد

بمناز الاسلام بانه دين الحضارة الانسانية الكاملة : بمعنى انه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة .

وانه انشا لونا من الحضارة عرف باسمه . وهو الحضارة الاسلامية .

ومفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية الاسلامية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة في اللغة العربية انها : -

تعنى حياة الحضرة والإقامة الثابتة في المدن والقرى وعكسها البداوة . وهي حياة التنقل من البادية . ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية وحياة الحضرة منذ كانت بادية وكان حضر .

وكان اول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة والتسجيل والتحليل العلمي هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون . بل ان هذا العالم العربي هو اول من عالج شؤون الحضارة بطريقة علمية تحليلية .

على انه اذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على انها ذلك النمط من الحياة المستقرة . والذي يناقض في مفهومه البداوة . فينشئ القرى والمدن ويضفي على اصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والمسلم والصناعة وادارة شؤون الحياة .

المطاء بانها : مظاهر الرقي العلمي والفني والادبي والاجتماعي والاقتصادي في الحضرة .

وقد يكون من المفيد معرفة مفهوم لفظيتين آخرين لهما في الحياة الانسانية شان كبير والسر واضح . وهما : الثقافة والمدنية .

فاصل مادة التشذيب في اللغة العربية : التشذيب والتهديب والتقويم والحدق والفظانة والمعاجم اللغوية تعرفها في الاستعمال المحدث بانها : العلوم والمعارف ، والفنون التي يطلب الحدق فيها . ونستطيع ان نقول انها : تشمل كل ما يتصل بالروح والفكر والعقل والدوق والشاعر ، وهي حصيلة الحياة الانسانية في مجالات الحياة كلها . وتجمع انماط الحياة الروحية والفكرية واللغوية والادبية والفنية . ولها صورها التي تتعدد وتتلاقى بين الشعوب والتي يتصل بعضها بتراث للانسانية مشترك ، ويتصل بعضها الاخر بحياة جماعات بلدانها دون سواها .

ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدينة والعيش فيها والاخذ باسباب الحضارة وقد اتصل لفظ المدينة في المفاهيم الجارية بالجانب المادي والمظهري من الحياة . وذلك من حيث مقوماتها الطبيعية ومنشأتها المموسة .

وكذلك من حيث الانماط المعيشية في اسسها المادية . وفي صورها المحسوسة في حياة المجتمع . وما يتصل بهذه المظاهر المادية والمحسوسة في حياة الجماعة من قواعد ونظم وامراف .

والحضارة بمفهومها الحديث هي : الحصيلة الشاملة للفنية والثقافة ومجموع الحياة في صورها وانماطها المادية والمعنوية .

وبعبارة اخرى هي : الخطة المريضة التي يسير فيها تاريخ كل شعب من الشعوب على الارض ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ومنها الاطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الانسان او الجماعات الخاصة من مرحلة الى مرحلة .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بانه دين الحضارة الانسانية من حيث تقييد حرية الفكر ، واهزاز حرية الانسان وكرامته . وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس في ظلال آخاء شامل ، وحمل

نام وروحانية صالحة واهتزاز بالمثل العليا والقيم الاخلاقية الرفيعة .

فان واقع الامر يبين للدارس والباحث والمفكر ان الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها ومناصرها ووجودها واسباب نمائها من الاسلام ذاته .

واذا كان ظهور الاسلام قد سبق في الجزيرة العربية وما جاورها حضارات اقدم منه . كما سبقته ايضا في البلاد التي انتشر فيها الوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلي او الاقليمي .

فان الاسلام يعطيته الذاتية استطاع ان يصفي على البلاد التي شملها لونا مشتركا من الفكر الديني والحياة والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية حتى اصبح هناك قدر حضاري مشترك بين المسلمين فسي مختلف الاقطار وبلاد الدنيا .

### دعائم الحضارة الاسلامية :

( 1 ) ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فاعلة بل ان فاعليته في هذه الناحية شملت حياة الافراد والجماعات من جميع الجوانب . فهي ثورة روحية وثورة في العبادة والنفوس وثورة في الحياة العممية والمعاملات . وثورة في النظم الاجتماعية بل وفي نظم الحكم وصلة الحاكم بالحكوم وكذلك في تشريعات الجماعة والاسرة .

والشيء المهم في هذه القوة الفاعلة انها كانت اصلاحا جذريا يمس اساس الاوضاع في حياة الناس .

( 2 ) ان الاسلام كان منذ يومه الاول دين دعوة له رسالة يجب على المسام ان يبلغها الى الناس كافة . وكانت حياة الشعوب واتصالاتها قد اهلتها لان تتلقى الرسالة الالهية التي فرضت على اصحابها ان يبشروا بها بين الناس شرقا وغربا .

وفكرة الدعوة في العقيدة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار في النطاق العالمي وبالتالي تمكن الاسلام من ان يبشر طابعه الحضاري كعقيدة وكنمط للحياة .

( 3 ) كان الاسلام ديننا سهلا غير معقد ولا مركب في عقيدته ونظمه وتمامه وكان في الوقت

ذاته ، دينا مباشرا يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » وقد كانت البساطة فى العقيدة الاسلامية شاملة لامبادات ، والمعاملات جميعا .

وما نظن دينا يطلب الى الفرد شهادة ايسر من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها « لا اله الا الله محمد رسول الله » عبارة سهلة رائعة تقف بالانسان على عتبة الاسلام موقفا سهلا .

وكانت القاعدة الثابتة لدى من بشر بالاسلام ، ان الدين يسر لا عسر « ومن هنا كان الاطمئنان الروحي والفكري اول ما يستشعره من يدخل فى دين الله خصوصا وان اعتناق العقيدة كان لا بد ان ياتى مباشرة دون وساطة او وكالة . على انه من الحق ان نذكر ان هذه البساطة لم تنته بالضرورة الى ذلك القدر من المرونة الذى قد يشوه التطبيق .

ولعل المقوم الاصيل الذى لم يجعل البساطة تنقلب الى مرونة مشوهة ، هو ان القروان كان وعاء للعقيدة كلها . حفظها على مر المصور واضفى عليها الطابع المشترك فى مختلف البيئات وتحت مختلف الظروف .

( 4 ) كان الاسلام دينا رحبا يقبل الاجتهاد ، ويدعو اليه فى حدود اصول العقيدة . وكان يدعو الى سبيل العقل كما يدعو الى سبيل الضمير والحق . ومن هنا كانت الدعوة الى النظر والى المعرفة اساسا من اسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة الحضارية .

والاسلام فى رحابته الحضارية استطاع ان يمتص الوان الحضارة فى البلاد التى انتقل اليها وان يسبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا .

( 5 ) كان الاسلام دينا للدنيا والاخرة معا ولى هذا قد اختلف عن كثير من الديانات والعقائد التى ينبع بعضها فى ماديات الحياة ثم يضىف عليها مسحة من العبادة او الفلسفة ويتبع بعضها الآخر فى مجال الروحية التجريدية .

وقد ترتب على ما اصف به الاسلام من جمع بين الروح والمادة انه اصبح دينا رحبا حيا يلائم حياة الناس ومنطق التطور . كذلك اصبح الاسلام

اكثر التصاقا بالحياة فى مفهومها الحقيقي وصورتها الواقعية . وفى الوقت ذاته اصبحت العقيدة على اتصال دائم بالبناء الحضاري فى مجال المدنية من جهة والثقافية والروحية والعقلية بل والاجتماعية من جهة اخرى .

( 6 ) كان الاسلام دين قيم وضوابط سلوكية مادية ومعنوية . وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الافراد ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات .

فالاسلام اعطى نظاما متكاملا للحياة سواء من وجهة نظر الفرد ام من وجهة نظر الجماعة . وهذا النظام شمل علاقات الافراد وكثيرا من نواحي الحكم ذاته .

وقد يكون من ابرز القيم التى استند اليها نظام الحياة الاسلامية فكرة القيمة الدائمة للانسان . واستنادها الى فكرة المسؤولية الفردية « كل نفس بما كسبت رهينة » « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ثم فكرة الاخاء التى تجعل الانسان المسلم ينتمي الى جماعة المسلمين ويحس بأنه مضمون من امضاء الجماعة المسماة بعمل لمصلحة الجماعة والجماعة تسمى للارتفاع بمستوى الفرد . فهو جزء من كل يكمله ويكتمل به ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمي به .

وليس فى الاسلام انفصال بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ومسؤولية المجتمع نحو الفرد لان هاتين المسؤوليتين هما اولى وسائل الاسلام فى اصلاح الانسانى العام .

والاسلام من ناحية اخرى اعترف بالقيمة الدائمة للافراد باعتبارهم مدينين بوجودهم لله مسئولين امامه عن اعمالهم « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » والاسلام حينما جعل الفرد مسئولا عن اعماله والمسؤولية - هنا تقع عليه وحده - الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الانسان الذاتية ويوصل به الى اعمال الخير والقدرة على الدفع والبناء . وفى الوقت نفسه الانسان لبنة من لبنات المجتمع الانسانى يعمل لمصلحة الجميع .

والاسلام لا يعترف بالفهرية التى يدمج بها الفرد فى المجتمع قسرا ورغمما منه كما فى الشيوعية لان الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغني عن الفرد ان لم يخدم فرض الدولة او ان لم يتبع طريقة الحرب دون تقاضى .

7) البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافي قد ساعدت على إعطاء الحضارة الإسلامية ما كان لها من طابع ومن مكانة . ولقد كانت الجزيرة العربية ذاتها منطقة وصل بين اطراف العالم عند ملتقى القارات الثلاث في العالم القديم . ومن شواطئها تمتد بحار الشمال بادئة بالبحر المتوسط ، وبحار الجنوب بادئة بالبحر الاحمر والخليج العربي . وقد كان عدم اتصال المياه بين الشمال والجنوب سببا في ان شبه جزيرة العرب كانت نقطة تغيير في وسائل المواصلات وفي ظهور دور الوساطة الذي كتب للعرب ان يقوموا به ولم يكن الامر في ذلك بالطبع مجرد التوسط الجغرافي على اهميته . وانما كان الامر اوسع واهمق .

فهو توسط من ناحية الطبيعة البشرية ، ومن ناحية السنوك الانساني ، ومن ناحية الاعتدال ، في كل ما يتصل بالمادة والمعنى في الحياة . وهي امور اتصلت كلها بطبيعة البيئة العربية . ومن هذه البيئة الوسط انتشر الاسلام شرقا وغربا بالبر والبحر على حد سواء .

8) القرءان الكريم ذاته وذلك ان القرءان لم يكن كتاب دين ، بحث على العبادة والتوحيد . وما يتبعها من عقائد ومبادئ واوامر ونواهي ، كان دستوراً من اعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الانسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن وذلك بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم .

ولقد كان اول اثر من آثار القرءان في الفكر الانساني اهتمامه الواسع بالعلم وذلك ان العلم اساس التقدم ومرآة نهضة الامم وعنوان حضارتها . وقد كانت نهاية القرءان بالعلم تفوق حد الوصف ، تأمل القرءان وتدبر آياته تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق في مظاهر الكون واحداث الماضي . والقرءان نفسه مشتق من القراءة والقراءة ادنى مفاتيح العلم للانسان واول ما نزل على محمد عندما كان يتحدث في غار حراء خمس آيات هي قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

ففي هذه الآيات الخمس بدأ الوحي الالهي بالقراءة في اول آية وكررها مرة اخرى في الآية

الثالثة ووضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى وهو التعليم وراد التأكيد بذكر القلم ثم لفت النظر الى الاصل الذي خلق الله منه الانسان وهو العلق وفي قوله تعالى « علم الانسان ما لم يعلم » ما فيه من مكنون اسرار هذا الكون مما سيمر به الانسان عبر مسيرته في هذه الحياة وحتى نهايتها .

واول قسم في القرءان اقسام به رب العزة في ثاني آية نزلت بعد الامر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالقلم وبما يسطر العالمون « ان والقلم وما يسطرون » فاول سورة نزلت من القرءان سورة العلق ومن العلق يخلق الانسان وكانت السورة التالية في النزول بسورة العلق هي سورة القلم « والقلم يكتب ويتعلم الانسان » .

فانسانية الانسان لا تكون الا بالخلق ولا تتم الا بالعلم « الرحمن علم القرءان ، خلق الانسان عنمه البيان » .

وما الطف قول الشاعر :

إذا افتخر الإبطال يوماً بسيفهم  
وعدوه مما يكسب المجد والكرم  
كفى قلم الكتاب مجداً ورفعة  
مدى الدهر ان الله أقسم بالقلم

والقرءان دائما يهتف بالانسانية « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » والقرءان يرفض ان يقف بالعلم عند حد بل يفتح للانسانية باحة ليس لها نهاية .

ولقد وضع الاسلام القواعد السليمة لوزن المعلومات . وتمييز صحيحها من زائفها فقرر ان المسائل لا تأخذ طابعا علميا ولا ترتقى الى درجة معلومات الا اذا قامت عليها بيئة واستندت الى دليل ومن ثم كان القرءان ينادي دائما « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ، « هل عندكم من علم فتخرجوه » « اثبوتني بكتاب من قبل هذا او اشارة من علم » « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » .

وهذه الآية الاخيرة تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية او رؤية بصرية او براهين عقلية وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات .

وهذا الميزان الذي وضعه الاسلام يدفع الناس دفعا الى تلمس الادلة . ويمشي بهم في طريق النور والمعرفة ومظاهر الكون والرفق .

ولقد دعا الاسلام الناس ان يمعنوا فكرهم في هذا الكون الفسيح وينموا النظر فيما حوى من عجائب ، ليستفلوا ما حواه من موارد ويستكنهوا اسراره واسباب الحياة فيه قال تعالى « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

وقال تعالى « قل انظروا ماذا في السماوات والارض » ولم يكتف القران بهذا بل ردد كلمة العلم ( بجميع اشتقاقاتها وتصريفها في سوره وآياته زهاء سبعمائة وخمس وستين مرة وهذا وحده يكفي لتقدير المنزلة التي رفع القران « العلم » اليها . وكلمة العلم في الاسلام عامة تشمل مختلف قطاعاته وتعدد اغراضه ومراميه .

وهذا كله دليل على ان الشخصية الانسانية لا يرقىها شيء غير العلم « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والقران مليء بالايحاءات لتنمية القوى العقلية المفضية الى النظر في البراهين الدالة على قدرته سبحانه وتعالى الداعية الى التفكير والتأمل في هذا الكون العجيب الذي يمتلئ بالظواهر الطبيعية التي تسير في نظام ودقة عجيبين .

( 9 ) اللغة العربية نفسها فهي : من اعرق اللغات العالمية منبتا وازها جانبا وافواها جلادة ، وابلفها عبارة واغزرها مادة وادقها تصويرا لما يقع تحت الحس ، وتصويرا عما يجول في النفس وذلك لمرونتها على الاشتقاق ، وقبولها للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب

نزل القران الكريم بلسانها فجعلها اكثر رسوخا واشد بنيانا والقوى استقرارا وبفصل القران صارت ابعاد اللغات مدى واوسعها الفقا واندرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الانسانية .

واستطاعت في ظل عالمية الاسلام ، ان تتسع لتحيط بابعد انطلاقات وترتفع حتى تصل ارقى اختلاجات النفس .

فليس هنالك معنى من المعاني ولا فكر من الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالاحرف والكلمات تصورا صحيحا هي المقاطع واضح السمات بارز القسامات .

هذه اللغة فتحت صدرها لتراث الانسانية الغالدة ومعارف البشرية الرائعة كما اسمت لمقومات الامة الانسانية الاسلامية التي شرفت بالحضارة وغربت .

برزت الى الوجود قوية تتمتع بقوة لفة بالفة اشدها ، فما عرف التاريخ لها طفولة وما بدت الا لتكون لسان الحضارة الاسلامية في ظلال القران .

ولقد اشترك مع اللغة العربية لغتان اخريان يكونهما لغتين عموميتين لانكار دينية ومقائدية ومذاهب سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة : وهاتان اللغتان هما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

فقد كانت اللغة اليونانية تستعمل مسن « كمبانيا » في ايطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية ومن نهر الراين الى جبل الاطلس .

واستعملت اليونانية من اقاصي صقلية الى شاطيء دجلة ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قوبل بانتشار العربية التي امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء وجنوب اسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتار فقد استولت لفة العرب الكتابية على جميع انحاء الشرق الاسلامي .

لقد امنت اليونانية واللاتينية في صف اللغات الميتة منذ هبطت مدينتاهما فما الذي حفظ اللغة العربية حية ؟

قالت الكاتبة « مي » ان الذي كان باعثا على قيام الحضارة العربية الاسلامية هو الذي ما زال حافظها الى اليوم وهو القران، لقد كان الاسلام يرمي الى التوحيد سواء في الدين والسياسة واللغة .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حيا فمن ذا الذي لا يعرف للقران فضله في بقاء اللغة العربية حية ؟ ومن ذا الذي يجهل ان اللغة العربية بالفة ما بقي الاسلام ؟ من ذا الذي لا يعترف بما ادته هذه اللغة من خدمة للانسانية وبانها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضي وحضارات اليوم .

لقد اندثرت جميع اخواتها السامية من ارامية وكنعانية وكلدانية وسريانية واشورية وغيرها في حين بقيت هي على رغم ما مر بها من عصور الركود وما نشأت نفيض قوة وحيوية .

انها الرابطة النفسية التي تربط بين اهل البلاد والسيغة الجميلة التي تودعها مكوناتها العقول والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسمت مباديء ومثلا مليا لم تضق بها ولم تنكلم من احتمال ابيائها بل في ظل حضارة الاسلام مرتت وامتصت وتفاعلت ونمت نماها الطبيعي المتطور من داخلها وهضمت خلاياها القوية كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تعطلت واتسعت آفاقها وانتشرت ظلالها وقضت في دورانها العظيم على كل ما يقف في طريق انبعاثها وتفوقها وكل ما يعرقل انطلاقها ويثقل اجنحتها من التحليق والارتفاع واستطاعت بقوتها الدائبة ان تقشع اللهجات الغامضة وتخرج من كل جولة - جالتهافي صراع - بغذاء مفيد ودماء جديدة وقدرة فائقة وطاقة خلاقة .

هذه اللغة دعمها القردان اذ اخذت تفرض سلطانها في بيئات جديدة في اقطار الارض ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط اسيا حتى جبال البرانس في شمال اسبانيا ولم تستطع لغة من لغات هذه البيئات ان تثبت لها او تحول بينها وبين سيادتها .

وقد يكون من اسباب ذلك انها لغة القردان وقد يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفني بحيث لم تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات ومهما تكن الاسباب فانها اصبحت لغة قوية لامم وشعوب قد تختلف وتباين في اجناسها واصل نشاتها ولكنها لا تلبث ان تعيش لها وبها وتحيا فيها حياتها المنوية الادبية والعقلية .

والعربية ما تزال لغة الشرق الاسلامي من الخليج الى المحيط الاطلسي تتوهج جدوتها وترسل اشعتها وشروها الى كل مكان حتى في امريكا تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال تضيء في المجلات والانار الادبية .

وواضح انها اجتارت آمادا واحتيايا متطاولة من الزمن وقد المت بها خطوب كثيرة ولكنها وقفت في

طريقها كالصخرة في مجرى السيل يلم بها ثم يرايها ، وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور بل لقد تطورت اطوارا كثيرة بحكم ما تلقت من ثقافات الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية . فوسعتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير وكانما اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول حتى من المعرفة والفكر وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته بل يجري هزيرا زاخرا متفتقا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود بين الامم والشعوب ، ولقد وحدت العربية بين هذه الامم والشعوب فاذا هي عالم واحد مهما تداننت وتباعدت ومهما شرتت او هربت .

لغة كريمة انضجها الزمان المتطاول واخرجتها الفطرة السليمة والاحساس المرهف والادراك النافذ.

لغة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطرات النفوس وتتجلى معانيها في اجراس الالفاظ تتمثل في نبرات الحروف كأنما كلماتها نبضات القلوب ومشاعل الحياة ، فالعاني المحسة والمعقولة مبينة في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشياء المتشابهة فتضع للشبه لفظا غير ما وضعته لشبيهه ادراكا للفروق الدقيق بينهما فاذا وضمت بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة وضمت العربية كلمات تختلف باختلاف مالة الضرب وموضعه من الجسم واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل حلية في الانسان وكل صفة في عينيه وحاجبيه وانفه ولحمه واسنانه وغيرها باسماء خاصة وليس هذا مقام التمثيل والتفصيل .

ثم هذا الاحساس الحاد الدقيق المتمثل في المفردات يتجلى في التركيب مدهشا ، فكل كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم وان شئت فقل تحس بها الكلمة نفسها فتعطي او تأخذ صوتا مكافئا لهذه المكانة فالكلمة الاصلية لها اقوى الاصوات وهو الضم والاخرى لها الفتح والجر .

وما هذا الا ضربا من الحياة في الالفاظ والتركيب يبين عن ادق الاحساس والطفه واذا اشتملت اللغات على كلمات هي مادتها ، ففي اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ، فيها مادة ووزن نخذل المادة او اخلقها او استمرها من لغة اخرى ثم صيها في قالب من قوالب الاسماء والافعال وصورها بالقوالب او الاوزان، فمن سمع

فاعلا او مفعولا ادرك ان هذا الوزن في حركاته وسكناؤه  
معنى يلازمه في المواد كلها وبهذا امتازت العربية  
واستبانة خصائصها حتى نفت من نفسها كل كلمة  
اجنبية ما لم تخضع لاوزانها وقوانينها وللأسماء  
اوزان وللانفعال اوزان فما لا يزنه هذه الاوزان فهو  
اجنبي وبهذا بقيت على الدهر المتناول نقية .

ولقد اختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم  
تعي ولم تصق بكل ما ادركه الانسان من علم وثقافة  
من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والامم  
المختلفة غير كارهة ولا مكروهة .

ولقد اراد الله لها ان تكون لغة كتابه وترجمان  
وحبه وبلاغ رسالته فاشتملت على العالم الحسي  
والعقلي مصورا في كلمات ودابات وجوزيت على هذا  
خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب وما استقام له  
ادراك واحساس .

وتقلب الزمن وتواتت المحن وثارَت الفتن  
والعربية ثابتة ناضرة وامحت لغات وخلقت لغات  
وبدلت لغات وحرفت لغات والعربية هي العربية لم  
تمح ولم تتغير ولم تبدل .

ما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق العربية لغة العرب وحدهم بل ثقفتها  
الامم الاخرى واولتها من العنابة والحفاوة اكثر مما  
اولت لغاتها احيانا فصارت لغة العلوم والآداب للعرب  
وغير العرب حقا طويلة ما بين أقصى المغرب وأقصى  
المشرق ولا تزال على تبدل الاحوال وتوالي الغير لغة  
ادب وعلم في كثير من الامم الاسلامية غير العربية .  
وما تزال لغات هذه الامم مترمة بالفاظ  
العربية وما تزال تستمد من العربية الحروف  
والكلمات .

وقد حوت العربية على مر العصور ادبا لا تحويه  
لغة ادبا مواطنة ما بين الصين الى بحر الظلمات كما  
يقول العلماء - وزمانه اربعة عشر قرنا من الزمان .

ولا نعرف في آداب العالم قديمها وحديثها  
ادبا اتمت به المواطن هذا الاتساع وامتدت به  
الامصار هذا الامتداد .

انتشرت العربية وحدها بقوتها الخاصة وبقوة  
الاسلام وقوة القران وبهذا استطاعت العربية ان تكون  
لغة عالمية لأول مرة في التاريخ الانساني .

ولاول مرة تجد في التاريخ لغة تنتشر بهذه  
القوة فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية  
ولكنها لم تصل الى اعماق الشعوب ولم تغير لغة  
من اللغات التي كانت قائمة في تلك الايام في بلاد  
الشرق ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات  
قلبتها وتممقت شعوبها .

والرومانيون استطاعوا ان ينشروا اللاتينية في  
المغرب الاوربي في فرنسا وفي بريطانيا وفي اسبانيا  
وحاولوا ان يجعلوها لغة منتشرة في شمال افريقيا  
فلم يفلحوا .

ولكن العربية استطاعت ان تقهر اليونانية في  
الشرق وان تقهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة  
في هذه البلاد وان تقهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم ان  
تقهر اللاتينية في المغرب العربي وفي الاندلس وان  
تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس في  
الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغة  
حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة  
ولغة ادارة ولغة الدين وكانت في الوقت نفسه لغة  
التفكير والانتاج الادبي والعصري وفي اقل من قرنين  
كانت هذه اللغة قد استطاعت ان تسع كل الثقافات  
التي كانت معروفة في العصور القديمة .

اسافت ثقافة اليونان على سمعتها وعمقها  
وصعوبتها واسافت فلسفتهم وعظومهم وطبهم  
وفنونهم .

واسافت ثقافة الفرس وثقافة الهند بعد ذلك  
الثقافات التي كانت متوارثة بين السامية

فالعربية : اداة الفكر الحي نقل الناس اليها  
كتب السماء المنزلة مثل التوراة ، والانجيل والزيور  
وسائر كتب الانبياء من السريانية والعبراية .

ونقلوا اليها ما جاء به الحكماء وسائر ذلك من  
كتب الفلسفة والطب والنجوم والهندسة والحساب .

( 10 ) وبجانب هذا وذلك كانت هناك مقومات  
تاريخية وبشرية تتصل بالمصر الذي ظهر فيه الاسلام  
وانتشرت عقيدته . ثم بالعنصر البشري والتكوين  
السكاني للمجتمعات الاسلامية .

فاما عن المصر فان الاسلام كان ختام الاديان  
السموية وكان بلداً رباطاً لها من الناحية

التاريخية . كما كان في الوقت ذاته تصحيحا روحيا لصور من الديانات السابقة التي شوهها الزمن . وكان على الاسلام ان يصححها وينقيها ويرد اليها اصالة الفكر التوحيدي .

ولقد كان هذا كله مصدر قوة ودفع للفكر الاسلامي وما اتصل به من حضارة . وكذلك كان الامر بالنسبة لتصدي الاسلام لمعتقدات غير سماوية .

فهذا التصدي كان الحافز الاميل للفكر الاسلامي والنظم الاجتماعية في ان تحتفظ باصالتها من جهة وان تجدد حيويتها وتوسع نطاق رحابها ومرونتها من جهة اخرى .

ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامي مع السوان الحضارات التي التقى بها على قوة غلبت كل التحديات فانتشر طابع الحضارة الاسلامية في فعالية لم يعرف لها مثيل .

ومما يذكر ان قوة الاسلام في انتشاره وترسيخ معالم حضارته قد تصاعقت بفعل مقوم انساني آخر عظيم هو تنوع السلالات التي دخلت في الاسلام .

ثم هناك ظاهرة اخرى تربت على كل هذه الجوانب والعوامل وهي ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمني في الحضارة الاسلامية .

ان هذه الحضارة تمتاز بان كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحي رسالة السماء التي تمدها بالروح والقوة والتماسك . وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل وعن المادية الجامحة الفاسدة

فالحضارة الاسلامية :

1 - في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله والفراده بالعبادة والتعظيم والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة .

2 - وفي نظامها السياسي تقوم على الشورى والنزول على رأي الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل اسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات العقيدة والوطن .

3 - وفي نظامها الاخلاقي تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق

والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التي تسير بالانسانية الى الكمال والتقدم

4 - وفي نظامها الاجتماعي تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على ركائز من المودة والرحمة والاخلاص والاحترام والتعاون والتضامن . وقيام كل راع بمسئوليته .

5 - وفي نظامها الاقتصادي تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية .

6 - وفي نظامها التشريعي ، تقوم على اصول رئيسية واسعة . وقد تمثلت هذه الناحية في ثروة من الفقه الاسلامي . تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكري .

7 - وفي نظامها الثقافي تعتمد على طلب المعرفة ايا كانت واستخدام العقل في كسب المعارف وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة . وامتياز الثقافة ايا كان مصدرها ومهدا تراثا عاما للانسانية .

8 - وفي نظامها الفكري تقوم على حرية الفكر واستقلال الارادة . فلم تنهض العقول ولم تتحرك الا بعد ان عرفت ان لها حقا في طلب الحقائق

ونستطيع ان نصل الى ان الحضارة الاسلامية:

1 - وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الاقدمين وما اضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة الخلاقة .

2 - انقذت العالم القديم مما كان يمشي فيه من فوضى وانهايار واضطراب في الحضارات واستعباد وظلم اجتماعي .

3 - اعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد في اسمى صورها ومجتمعها جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمي بين الجميع

4 - اعطت الانسانية ذخيرة حية ضخمة من المعارف الساد منها الغرب في عصر الاحياء والنهضة ، وامتد عليها العالم الاسلامي في بقلته الحديثة وفي بناء نهضته المعاصرة .

5 - وضعت بعض اصول المنهج العلمي الحديث كطريقة الشك عند الفزالي والاحاطة بجميع جوانب الموضوع ايجابا وسلبا . ولقد جاء في رسائل اخوان الصفا دستور علمي ينحصر في تسعة احكام . وهاهي كما جاءت في الرسالة السابعة :

السؤال الاول هل هو :

يبحث عن وجود الشيء او عن عدمه

السؤال الثاني ما هو :

يبحث عن حقيقة الشيء

السؤال الثالث كم هو :

يبحث في مقدار الشيء

السؤال الرابع كيف هو :

يبحث عن صفة الشيء

السؤال الخامس اي شيء هو :

يبحث عن واحد من الجملة او عن بعض من الكل

السؤال السادس اين هو :

يبحث عن مكان الشيء او عن رتبته

السؤال السابع متى هو :

يبحث عن زمان كون الشيء

السؤال الثامن لم هو :

يبحث عن علة الشيء المعلوم

السؤال التاسع من هو :

يبحث عن التعريف للشيء .

6 - فتحت للانسانية وافاقا جديدة في البحوث الانسانية كالفلسفة التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون . وعلم البصريين على يد «ابن الهيثم» وابتداء مرحلة جديدة في تطور علوم الرياضة على يد «الخوارزمي» و «عمر الخيام» .

7 - ساعدت بادائها على نهضة الاداب في اوربا وفتحت افاقا جديدة امام شعراء الغرب وكتابه .

8 - ساعد حلفاؤها وقادتها بسلوكهم الاخلاقي وبنماذج المروءة والشرف التي تحلوا بها على اشارة المثل الاخلاقية الرقيقة مما كان قدوة لمن احتك بهم في السلم او في الحرب .

ولقد تلمست اوربا انها حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والزراعة وسائر انواع الفنون الحضارية وبنى رجال اوربا بما تعلموه في معاهد المسلمين بالاندلس وبما نقلوه من علوم اسس النهضة الحديثة التي ظهر نجمها في القرن الثامن عشر وازدهر في القرن التاسع عشر وتالق في القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي خرج رجال الحضارة وجهادة العلم واساندة الدنيا وعمالقة العلماء امثال :

ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والفرغاني والطوسي والبغدادي والدينوري والرازي والقزويني والانطكي والزهراوي والغافقي والخوارزمي والمصوني وجابر الجاحظ وابن البيطار وابن النفيس وابن حيان وابن حمزة والادريسي والمسعودي وابن بطوطة وابن زهر .

وهذا ابن الهيثم ( 965 - 1039 ) يبحث في السهول والادوية ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجياي يسهر على قمم الجبال العالية يحرق في الكواكب والنجوم ليحدد افلاكها ويمسرف ابعادها ويقيس محيط الكرة الارضية بالاجهزة الدقيقة .

وابن النفيس يجري التجارب والاختبارات حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا في الاوردة والشرايين المبتوتة في الكائن الحي . بل هو سائل متحرك يدور في جميع اجزاء الجسم وذلك قبل ان يكتشف ( هارفي ) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه الذي يسبق فلاسفة اوربا وعناؤها بشمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهديب والبيولوجيا .

وجابر بن هيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلطة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، وابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول الساعة ( الرصاص ) .

هذا كله في الوقت الذي كانت اوربا فيه تعيش في ظلمات الجهل والفوضى والهمجية والتأخر ولم يتخذ اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور

وقال العلامة « دريير » المدرس بجامعة ( هارفارد ) بأمریکا فی کتابه ( المنازعة بين العلم والدين ) : « ان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة 638 ميلادية أي بعد موت محمد بست سنوات ولم يعض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية وقدروها حق قدرها .

ولو أردنا ان نستقصي كل نتائج هذه المعركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رفقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم فقد استفادت منها فنون الزراعة في اساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسنن النظم الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبس وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل من انواع المنسوجات كالصوف والحريير والقطن . وكانوا يديبون المعادن ويجودون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها وانما لندعش حين نرى مؤلفاتهم من الآراء العلمية وما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر .

ويقول في مواطن اخرى : « ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك اوربا وامراؤها يقدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها . وقال العلامة « سديو » في كتابه تاريخ

العرب : « كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها اينما حلت اقدامهم وتسربت عنهم الى اوربا فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها . وقال العلامة « جيبون » المؤرخ الانجليزي :

« كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الدوق العلمي في المسافة الشاسعة بين سمرقند وبخارى الى ناس قرطبة، ويروي عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس جامعة علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد طلبتها ستة آلاف لا فرق فيهم بين غني وفقير .

وقال « دريير » : اول مدرسة انشئت للطلب في اوربا هي المدرسة التي أسسها العرب في (بارم) من

الاسلام وما زالت اسماء العلماء والمصطلحات التي اعطاها هؤلاء العلماء المسلمون لفرائب العلم ما زالت حية نابضة في جميع اللغات رغم ما نالها من تحريف وتغيير ، ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية باعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا يفتون من بحوثهم ودراساتهم الا مرضاة العلم في ذاته . والدين لا تسيطر عليهم المعصية الهوجاء والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى العربي بعض النقول التي جاءت على لسان فلاسفة العالم والتي تشهد صراحة وضمننا لمجد الحضارة الاسلامية .

والواقع ان الاسلام ليس في حاجة الى اقوال هؤلاء فهو قوي بذاته لكننا ناتي بها لما نراه من ان كثيرا من كتابنا ومؤرخينا يغمطون حق حضارة العرب . وان شئت بعبارة اقرب فقل انهم يجهلونها ولا يعرفون عنها الا النذر اليسير والى هؤلاء واولئك بعض اقوال كواكب الاستشراق والبحوث العلمية والدراسات الواسعة .

قالت الكاتبة الالمانية الدكتورة ( سيجريد هوتكه ) ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها ابناء الصحراء من العدم من اعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ الحقل البشري لسيادة ابناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة في نوعها وان الانسان ليقتف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة والتي يحار الانسان في تحليلها وتكييفها .

وقالت ايضا : « وان اوربا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في عنق اوربا وسائر القارات للعرب كبير جدا »

وقال العلامة « كارينسكي » ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان الابحاث الحديثة قد دلت على تعظيم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت اوربا في ظلمات القرون الوسطى .

وقال الفيلسوف الفرنسي « الكسي لوازون » : خلق محمد للعالم كتابا هو آية البلافة وسجل للاخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا او المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القران والقوانين الطبيعية .

إيطاليا وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون في أشبيلية بإسبانيا وانهم رتقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا وأوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم .

ولقد امتاز العرب في الجمع بين فروع العلم والآداب وفاقوا فيهم في هذا الميدان ومن يطلع على كتب محمد بن موسى الخوارزمي يجد أن المؤلف جمع بين الجبر والآداب .

وانظر إلى كتب البيروني تجد أن الآداب والرياضيات اجتماعا متماثلين . . قال العلامة «درابرا» : « لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا من الأسلوب الذي توخوه في مباحثهم وهذا الأسلوب هو الذي أوجب لهم الترقى الباهر في الهندسة والمثلثات .

وقال الكاتب الهندي « فسواني » : التهذيب العربي هو الذي انشأ في آسيا وأوروبا نشأة جديدة وإنسانية جديدة .

إن هذه الأقوال التي جاءت على لسان علماء أفاضل لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمننا وجملته وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعلية الحضارة الإسلامية الإنسانية التي لمست الإنسانية فيها معاني السيادة ومست القلوب فيها معاني السعادة وامتلت في ظلها صروح المجد .

هذه الحضارة ستظل خالدة خلود الأبد باقية بقاء الدهر مدوية دوي الأذان لا ينضب لها معين ولا ينتهي لها مدى ولكن ذلك رهين برجوع العرب إلى منابع عزهم ، هذا وإذا كانت الحضارة الإسلامية لها من الدعائم والركائز المشرفة ما وصل بها إلى ذروة ما قدر للإنسانية من التقدم ولها من التعاليم والقيم والآداب ما يسمح لها أن تكون لها فلسفتها الخاصة بوجودها .

فهل يمكن لهذه الحضارة أن تعود إلى إشراقها من جديد فتساهم في إعطاء الحضارة الإنسانية ذخيرة من القوة والقدرة .

الحقيقة التي لا يسوغ إنكارها أن آداب وتعاليم الإسلام كقيلة بأن تجعل العالم الإسلامي في وضع يسمح له بأن ينمي فلسفته الخاصة به والتي تنبع من الفكر الإسلامي . ويتضح ذلك من العقائق التالية :

أولا - أن العالم الإسلامي يشمل منطقة جغرافية تمتد من المحيط الباسيفيكي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا . مجتازة جاليات ودولا إسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية وحضارية لا حدود لها ومنطقة العالم الإسلامي تتميز بأنها :

1 - تقع من العالم موقع الحزام من جسم الإنسان . بعيدة عن القطبين ومسألة من الأعاصير والظوفانات والثلوج والبراكين . ولها دفء معين يساهم على تنوع الحاصلات الزراعية وتناسل الحيوانات البرية .

2 - وأنها تمتلك من شواطئ البحار الكبيرة والصغيرة ما يمكنها من الأشراف على عدد كبير من أعظم موانئ العالم كما بها من الأنهار والنباح ما يجعلها من أخصب المناطق وأكثرها ازدهارا ونماء .

3 - وأن فيها من موارد الحضارة كالماء والنفط والمعادن والحاصلات الحيوانية والزراعية ما يمكنها من اغناء الحضارة الإنسانية وزيادة الأمن والرخاء .

4 - وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها إلى اسمى ما قدر من التقدم والسمو والمجد والسؤدد .

5 - وأن التجانس المذهبي بين سكان العالم الإسلامي يجعل المنطقة في منأى عن الانشقاق الملحوظ في المذاهب الأخرى ويقرب بينها ويحفظ وحدتها ويزيدها تفاعلا وفتحا وتقدما .

وتلك أمور تجعل العالم الإسلامي قوة إيجابية مهيبة الجانب مخطوبة الود . يتهيب العدو بأسه ويخشى سلطانه وتجعله أيضا مهيا للاسهام في بناء الحضارة الإنسانية وإعادة صنع الحياة واثقاد البشرية من الهوة السحيقة المتردية فيها ووهدة الفوضوية والإباحية والاستعمار والألحاد .

ثانيا - وإذا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والموقع وما لهما من خصائص ومميزات وما لهما من كنوز وخيرات إلى الحديث عن الإسلام نفسه فإننا نجد أنه دين العقيدة الحية الصحيحة التي جاءت وقت بلوغ العقل البشري طور رشده وكماله وفتحه .

العقيدة التي تقر التوحيد الخالص والتنزيه البالغ أرقى صورته وأشكاله عقيدة ترفع من قيمة الإنسان لأنها تصله بالله الواحد الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أماله . « قل هو الله

أحد، الله الصمد، لم بلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد .

ولا تبیح تلك العقيدة الإسلامية للإنسان أن يتعلق بالخلوقات أو يدعو ويعبد غير الخالق الذي أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » . والإسلام من جهة أخرى دين اجتماعي يراعي حاجة الإنسانية ومصالحها الحيوية في حدود الحق والفضيلة وباعتبار أنه دين توحيد واجتماع أمكن للإسلام أن يقيم المجتمع على أسس القيم الأخلاقية العليا وأن يرضي مطالب الروح والجسد حتى تترافقا في اعتدال وكونا حقيقة الإنسان المهذب والمؤمن الكامل .

وبالجمع بين السمو الروحي والتهديب الاجتماعي أمكن للإسلام أن ينتشر في أركان الدنيا بالعدل والحق والأخلاق وسمو المبادئ .

والإسلام وليد العقيدة الرائقة الرائقة التي تطهر النفس وتذكي القلب وتربي الخلق وتفذي العقل وتوقف الفريضة عند حدها وتمطي كل مطمع من مطامع الإنسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .

والعقيدة الإسلامية : عقيدة استعلاء من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها الإحساس بالعمة من غير كبر وروح الثقة في غير افتراء وشعور الاطمئنان في غير تواكل .

ثالثا - أن الإسلام متعل بشؤون الحياة والحكم والفكر ، والإسلام قادر بطبيعته الدائمة على مواجهة تطور الأزمان واختلاف البيئات والمجتمعات ، وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التباور والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجمد ولا يتعارض مع طبائع الأمم في حركتها الداخلة المتدرة عبر العصور .

والإسلام ينظر إلى الحياة نظرة كاملة وشاملة ويتدخل في جميع شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالإضافة إلى أنه ديسن يهتم بالجانب الروحي من الإنسان ويريد منه أن يتحمل الخلافة في الأرض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الإسلام بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الإسلام بالحرية والأخاء والسواوة ورسم وسائل تحقيقها وأقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا إلى التعاون والتبادل والمودة والألفة .

ويمكن أن نقول بعبارة أوجز : انه ما من شيء يهم الإنسانية ويشغل بالها ويأخذ قسطا من عنايتها الا وله في الإسلام هدى وبيان واهتمام وما من شيء يلامس حياة الناس أو يتمقها الا وله في الإسلام عرق ينبض وأصل عريق .

ولقد اكتملت قوة الإسلام بوحدة العقيدة وجامعة اللغة العربية واشتراك المجتمع في مظاهر المبادات والمعادات والتقاليد زيادة على توحيد الاهداف والغايات من الحياة .

رابعا - ان تعاليم الإسلام الفراء صالحة لكل زمان ومكان وفي الإصلاح الإسلامي من كليات وجزئيات ما هو كفيل بقيام مجتمع انساني تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والاخلاص ولكن ذلك رهين برجوع المسلمين إلى منابع مزهم ومجدهم والتمسك بأسمى القيم الأخلاقية الإسلامية والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابعة بالسمو والمليئة بالجدوات المتقدة التي لا يخبو ضوءها .

قال الدكتور جورج سارطون : « ان المسلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية وإلى زعامة العالم السياسية والعلمية - كما كانوا من قبل - إذا عادوا إلى فهم حقيقة الحياة في الإسلام والعنوم التي حث الإسلام على الأخذ بها . »

وقال العلامة دامبري : « ان روح نظام المسلمين هو الدين والذي احياهم هو الدين والذي يكفل سلامتهم في المستقبل هو الدين ليس الا » .

ويرى الدكتور فيليب حتى : « ان الشرق الإسلامي هو اليوم في مطلع دور جديد في حياته العلمية كما انه في فجر طور جديد في حياته السياسية وهو دور يمكن ان نسميه دور الإبداع والابتكار ضمن اطار الميراث الخالد من القيم الدينية والأدبية . ولنا ان نتكهن ان ابناء الثقافة الإسلامية على اختلاف بيئاتهم سيقومون بقسطهم في خدمة المدنية والانسانية » .

والدكتور سمث استاذ ورئيس قسم الديانات بكاية ووتر بولاية اوهايو يرى انه لو امكن اشارة التماسك الإسلامي في سبيل الفراض ايجابية وتكثيل الامم الإسلامية الكثيرة المختلفة في وحدة حية لامكن ان تصير هذه الوحدة قوة ايجابية في العالم ..

( يتبع )